... وَيْحكُم يا بني قُريظَة!!...

فور انتهاء غزوة الخندق ، وضع المسلمون السّلاح ، فهبط الأمين جبريل عليه السلام علىٰ النبي ﷺ ، وقال له: أَوَقَدْ وضعتَ السّلاح يا رسول الله؟ قال: «نعم» فقال جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد وما رجعتُ الآن إلاّ من طلب القوم ، وإن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلىٰ بني قريظة ، فإني عامدٌ إليهم فمزلزلٌ بهم.(١)

فجمع الرسول ﷺ الناس ، وقال لهم: «لا يصلّين أحدٌ العصر إلا في بني قريظة»(٢).

وركب المسلمون ، واتجهوا نحو حصون بني قريظة ، وكان هذا المشهد الرائع:

روىٰ ابن عساكر عن عبد الرحمن بن غنم: أن رسول الله ﷺ لما خرج إلىٰ بني قريظة قال له أبو بكر وعمر رضي الله عنهما: يا رسول الله ، إن الناس يزيدهم حرصاً علىٰ الإسلام أن يروا عليكَ زيّاً حسناً من الدنيا ، فانظر إلىٰ الحلّة التي أهداها لكَ سعد بن عبادة فالبسْها فلْيرَ المشركون اليوم عليك زيّاً حسناً ، قال: «أفعلُ ، وأيم الله لو أنكما تتّفقان لي علىٰ أمرٍ واحدٍ ما عصيتكما في مشورة أبداً ، ولقد ضرب لي ربي عز وجل لكما مثلاً ، لقد ضرب مثلكما في الملائكة كمثل جبرائيل وميكائيل ، فأما ابن الخطاب فمثلُه في الملائكة كمثل جبريل ، إن الله لم يدمّر أمةً قطّ إلاّ بجبريل ، ومثله في الأنبياء كمثل نوح إذ

---

(١) سيرة ابن هشام: ٣/ ٢٥٢.

(٢) صحيح البخاري: ٢/ ١٩.

قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]. ، ومثل ابن أبي قحافة في الملائكة كمثل ميكائيل إذ يستغفر لمن في الأرض ، ومثله في الأنبياء كمثل إبراهيم إذ قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦] ، ولو أنكما تتفقان لي علىٰ أمرٍ واحدٍ ما عصيتُكما في مشورة ، ولكن شأنكما في المشورة شتّىٰ ، كمثل جبريل وميكائيل ونوحٍ وإبراهيم»[١].

أجل يا معلّم الناس الخير!

هكذا تكون العلاقة الحميمة بين القائد وتلامذته ، مشورة وصراحة وتفاهم كامل ، فهنيئاً لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما علىٰ تلك المنزلة من المصطفىٰ ﷺ ، وفي رواية أخرىٰ لابن مسعود رضي الله عنه ، أن النبي صلوات الله عليه قال: «اقتدوا باللَّذَيْنِ من بعدي من أصحابي: أبي بكر وعمر ، واقتدوا بهدي عمار ، وتمسّكوا بعهد ابن مسعود»[٢].

جزم الجميع بأن خير الأرض ما ... قد حاط ذات المصطفىٰ وحواها
ونَعَم لقد صدقوا بساكنها عَلَتْ ... كالنفس حين زكت زكا مأواها

* * *

(١) كنز العمال للمتقي الهندي: ١٣/ ١٩.
(٢) سنن الترمذي: رقمه (٣٨٠٧).